التراكيب اللغويّة بين معياريّة التراث والاستعمال المعاصر

د. خليل عجينة

١- موضوع البحث ومنهجه

اللّغة كائنٌ حيٌّ يولد ويتطوّر ويتكاثر، وإمّا أن يكتب لها الاستمرار والتجدّد كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، واقتضت الحال، وإمّا أن يُكتب عليها الجمود والاستقرار، ومن ثمَّ الموت والاندثار. ولا شكَّ أنَّ ذلك يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأصحابها، وفي سيعهم الدائم للتعبير تعبيرًا حيًّا عن فكرهم وسلوكهم وثقافتهم وعقائدهم وإبداعاتهم ورؤاهم السياسيّة، والعسكريّة وإنجازاتهم العلميّة، وسائر شؤون حياتهم بما يُعزّز شوكة وجودهم، ويقوّي حضورهم في هذا العالم. واللّغة العربيّة كانت ولا تزال لغة تأبى أن تشيخ، وترفض أن تستقرّ لها حالٌ؛ لأنّها لغة حيّة يتداولها أهلها في سائر مجالات الاتّصال والتعبير اللّغويّ.

وقد برهنت اللّغة العربيّة بما لها من سمات ومميّزات فريدة على المستوى المعجميّ والصرفيّ والنحويّ والدلاليّ أنّها قادرة على مواكبة أيّ تغيير ثقافيّ وتحوّل فكريّ وتبدّل اجتماعيّ، وتوجّه سياسيّ، وتأثير إعلاميّ في أيّ مجتمع من المجتمعات التي تحيا فيها حياة صحيحة على ألسنة أبنائها، وجهود علمائها. ومع ذلك كلّه يبقى بينها وبين أبنائها علاقة انتماء وثيقة مهما يتعاقب الزمن، وتتوالَ القرون. "فإنّ كان أبناء الأمم الأخرى تقوم بين الواحد منهم ولغته في كلّ لحظة علاقة مزدوجة هي ثنائية في مرجعيتها الزمنيّة... فإنَّ العربيّ مهما تباعدت مسافة ما بين درجة الفصاحة التي هو عليها قادر ودرجة البيان الذي يأتيه عليه كلام المتكلّمين أو تأليف المؤلفين فإنّه لا يستشعر أيّ انفصام زمنيّ يحول بينه وبين اندراجه ضمن دائرة التاريخ، أو يحول بين التاريخ وبين الحلول في صميم وعيه الذاتيّ." (العربية والإعراب، ٥٨)

ولمّا كانت العربيّة كغيرها من اللغات عرضة للتجديد والتغيير كونها لغة حيّة، ولمّا كانت هذه اللّغة العريقة لها من الخصاص والمميّزات ما يجعلها قادرة على التطوّر والإبداع من أجل أن تبقى مرتبطة بروح كلّ عصر، وثقافة كلّ زمان تحيا فيها، وحاجات كلّ بيئة تُعبّر بها، ولمّا كنّا نشهد عصرًا باتت اللّغات فيه تتنافس في ميدان التطوّر والإبداع مُستجيبة لحركة التطوّر السريع في العالم على مختلف المستويات، لمّا كان هذا كلّه فإنّ هذا البحث يتناول ظاهرة النحت في اللّغة العربيّة في إطار وصفيّ استنادًا إلى استعمالات لغويّة معاصرة ابتدعها أبناء العربيّة في هذا العصر للتعبير عن مؤسساتهم أو مشروعاتهم أو برامجهم التربوية والإدارية وغيرها مقلّدين لظاهرة الاختصار التي تُعرف باللّغة الانكليزيّة بمصطلح "Acronym"، معتمدًا على المنهج الوصفيّ التّحليليّ من أجل أن يصل إلى تحديد هذه الظاهرة اللّغويّة المعاصرة وتعريفها تعريفًا علميًّا مقترحًا صورًا مُتعدّدة وصيغًا تركيبيّة عربيّة للتعبير عنها.

وينطلق البحث من سؤالين أساسيين:

- كيف تستطيع اللّغة العربيّة أن تواكب هذا الإبداع اللّغويّ والتطوّر اللسانيّ العالميّ لتُشارك في مواكبة خصائص هذا العصر الذي يتّسم بالسُّرعة والاختصار والعملية؟
- هل يمكن للاستعمال اللّغويّ المعاصر الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بثقافة هذا العصر، والذي تختلف مستوياته بحسب المتكلّمين به أن يستجيب لمتطلّبات الحداثة وهو خاضع لمعايير التراث اللّغويّ التي استُنبطت من استعمالات لغويّة كانت في بيئة عربيّة مُحدّدة لها ثقافتها وتوجّهاتها المختلفة عن هذا العصر؟

٢- اللّغة العربيّة والضوابط المعياريّة

تُعدُّ اللّغة العربيّة "من أقدم اللغات التي حافظت على بنيتها التاريخيّة التامّة؛ ذلك أنَّ التاريخ لم يسبق له أن حدّثنا عنا لغة عُمّرت أكثر من ستّة عشر قرنًا دون أن تنسلخ إن في بنيتها النحويّة، وإن في بنيتها الصوتيّة والصرفيّة والمعجميّة". (العربيّة والإعراب، ٤٤) والعربيّة طوال تلك القرون

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

لغة خلاّقة متجدّدة تواكب الحضارة، وتُجاري أيَّ تغيّر يطرأ على الزمان في سائر الميادين، ومُختلف الاتّجاهات، وكلّ المستويات، فلم تعجزَ أمام الفكر، ولم تنضب أمام العلوم، ولم تتوانَ أمام قيام الدولة، وازدهار الحضارة، وإشراق تاريخ أمّتها، وهي مع ذلك كلّه محفوظة بهالة من القداسة والجلالة كونها لغة القرآن الكريم.

وقد بذل النحاة واللّغويّون والعلماء جهودًا كبيرة ومضنية طوال قرون من الزمن في سبيل خدمة هذه اللّغة الخالدة، والمحافظة عليها نضرةً حيّة وعلى أنظمتها ومعانيها وأساليبها وخصائصها؛ وذلك حرصًا منهم على فهم النصّ القرآنيّ فهمًا صحيحًا من جهة، واعتزازًا بهذه اللّغة البديعة لما تمثّله من رمز للكيان والهويّة والحضور من جهة أخرى، وسعيًا لصيانتها من اللّحن والوهن من جهة ثالثة.

ونتج عن جهودهم تلك أن وضعوا ضوابط وأحكاماً معياريّة بنوا على أساسها قواعد أنظمة هذه اللّغة العربيّة، واستنادًا إلى هذه الأحكام وصفوا سنن كلام العرب من نَظم وتصريف وإعراب وتقديم وتأخير وحذف واشتقاق ونحت وغير ذلك، ثمّ ضبطوها ضبطًا علميًّا نسبيًّا يتوافق مع منهجهم وذلك بناءً على استقراء كلام العرب، واستنباط القوانين والقواعد منه، فأنتجوا ثروة ضخمة من المصنّفات على مختلف المستويات الصوّتيّة والصرفيّة والنحويّة والمعجميّة والبلاغيّة والأدبيّة. ولم تخلُ اجتهاداتهم ودراساتهم من ظهور الفروقات والاختلافات، والاعتراضات بين المدارس المختلفة ولا سيّما النحويّة، أو بين التوجّهات الفكريّة والثقافيّة المختلفة لكلٍّ من البيئين المشرقيّة والمغربيّة.

وبهذه القواعد والقوانين والضوابط التي وضعوا واشترطوها أحكموا الاستعمال اللّغوي لها، وأرضخوه إليها، وعلى هذا أصبح المعيار الذي وضعه العلماء "الأصل بينما يكون الاستعمال فرعًا عليه، فهو عارضٌ من عوارض التقدير والاعتبار". (مباحث تأسيسيّة في اللسانيّات، ١٠٩).

وكان من بين النحاة من يُخطّئ الشّعراء، والفصحاء انتصارًا للمعيار الذي وضعوه إذا خالفَ قولُ أحد الشعراء تلكَ المعاييرَ والقواعد التي عدّها النحاة هي الأصل. وتروي لنا الكتب عشرات القصص في هذا الباب، حتّى إنَّ طائفة من أولئك النحاة قد تجرّأت على رفض بعض وجوه القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة، فكانوا "يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربيّة وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك". (الاقتراح في علم أصول النحو، ٢٥).

من هُنا نرى أنَّ المواقف التي اتّخذها القُدامى تجاه أيّة ظاهرة لُغويّة في معيارها واستعمال العربيّ لها هي مواقف تقويميّة تحرص على ردّ ما انحرف منها إلى الصواب بناءً على انتحاء سمت كلام العرب كما عبّر عنه العلاّمة ابن جنّي (٣٩٢ه) بقوله: "... وإن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ إليها". (الخصائص، ٨٨).

هذه الضوابط المعياريّة التي استنبطها العلماء القُدامى من واقع استعمالٍ لغويٍّ عربيّ في بيئات عربيّة مُحدّدة، لأقوام وقبائل عربيّة لهم ثقافتهم الخاصّة، وتحكمهم ظروف اجتماعيّة ومُناخيّة وبيئيّة خاصّة(١)، هذه الضوابط عَدَّها القُدامى ضوابط مُستقرّة، "فتعاملوا معها فكريًّا على أساس أنّها ذات سمة أبديّة، فكانوا يعتبرون أنَّ كلَّ تغيير يطرأ على قواعد اللّغة إنّما هو انتهاك لأبديّة قوانينها". (مباحث تأسيسيّة في اللسانيّات، ١٠٧).

في ضوء ما تقدّم نجد أنفسنا أمام سؤال دقيق: إذا كان التطوّر اللّغويّ سنّةً باقية من سنن اللّغات الإنسانيّة كما يبرهن لنا التاريخ، فهل تُعدُّ هذه الضوابط المعياريّة عاملاً يُعيق مسيرة تطوّر اللّغة العربيّة وتجدّدها وتميّزها في عالم اختلفت فيه الثقافات وتبدّلت فيه المعايير على مختلف المستويات؟

٣- اللغة العربيّة وسُنّة التطوّر

لا يمكن أن تكون اللّغة يومًا ما جامدة، ولا يمكن أن يُتصَوَّر أن ينتقل هذا الجماد من جيل إلى جيل، ومن عَقد إلى عقد، ومن قرن إلى قرن، ومن عصر إلى عصر في شريان الحياة؛ ذلك لأنَّ اللّغة "ظاهرة اجتماعيّة تتّفق عليها الجماعات البشريّة، وهي تعكس ما يموج فيها من عادات وتقاليد وثقافة ودين وتنوّعات جغرافيّة وإقليميّة، وهي كذلك نفسيّة سيكولوجيّة يقوم بإنتاجها وتلوينها الإنسان، لذلك لا بُدَّ من هذه العلائق التي تربط اللّغة بنفسيّات متكلّميها على اختلاف أعمارهم، واختلاف أجناسهم، واختلاف ثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم". (قضايا أساسيّة في علم اللسانيّات الحديث، ١٤)

من هنا كان التطوّر سمة أساسيّة من خصائص أيّة لغة كونها كائنًا حيًّا يخضع لقانون النمو والتجدّد والارتقاء، وهي بذلك "دائمة التطوّر مهما أُحيطت

بِسياج من الحرص عليها، والمحافظة على خصائصها". (الأصوات اللّغويّة، ١٨٥)

ولا تكون اللّغة حيّة ومتطوّرة إلاّ إذا كانت "مشايعة بأوضاها لكلّ ما يجدُّ من مستحدثات الحياة... واللّغة التي تُرمى بأنّها في سبيل اللّغات الميتة لا يزال يطرأ عليها النقص كلّما زادت مستحدثات الحياة". (تاريخ آداب العرب، ١٤٣/١).

وَرَدَّ العلماء هذا التطوّر الذي يصحب اللّغة إلى أربعة عوامل أساسيّة هي:

١- انتقال اللّغة من جيل إلى جيل.
٢- تأثّر اللّغة بغيرها من اللّغات.
٣- اختلاف العوامل الثقافيّة والجغرافيّة والبيئيّة وغيرها.
٤- الإنتاج الأدبيّ الإبداعيّ، والجهود العلميّة للمجامع اللّغويّة وغيرها. (علم اللّغة، ٢٤٩).

ولم تكن اللّغة العربيّة يومًا بعيدة من ذلك النّمو والتجدّد والتطوّر والإبداع، "فقد كان لانتقال العرب من همجيّة الجاهليّة إلى حضارة الإسلام، ومن النّطاق العربيّ الضيّق الذي امتازت به حضارتهم في عصر بني أميّة، إلى الأفق العالميّ الواسع الذي تحوّلوا إليه في عصر بني العبّاس، كان لهذين الانتقالين أجلُّ أثرٍ في نهضة لغتهم، وَرُقي أساليبها، واتّساعها لمختلف فنون الأدب وشتّى مسائل العلوم". (علم اللّغة، ٢٥٧).

وظهر ذلك كلّه على المستوى المعجميّ فكان الترادف والمشترك والتضاد، والمعرّب والمولّد، والدخيل، وعلى المستوى الصرفيّ فكان الاشتقاق، والنّحت، والإبدال، وعلى المستوى الصوتيّ فكان الإعلال، والإدغام، والحذف ونحو ذلك، وعلى المستوى النحويّ والبلاغيّ، والشعريّ والنثريّ وسائر الفنون. ولم يكن ذلك ليتحقّق لولا أنَّ للعربيّة من الخصائص والسمات ما يجعلها قادرة لاستيعاب ذلك كلّه، وقد أحسن مصطفى صادق الرافعي عندما قارب خصائصها وسماتها بكمال الخلقة اللّغويّة إذ قال: "فالمجاز جمال اللّغة، والاشتقاق قوّتها، والارتجال تركيب الخلقة فيها، ويندر أن تجد ذلك كلّه في لغة من اللّغات على مقدار ما تجده في العربيّة، فلا جرم أنّها كانت حَرِيّةً بأن تكون مناط الإعجاز؛ لأنّها الخلقة اللّغويّة الكاملة". (تاريخ آداب العرب، ١٤٥).

هكذا استطاعت اللّغة العربيّة أن تكون مرآة انعكس فيها ما سار عليه الناطقون بها في سائر شؤونهم العقيديّة والفكريّة والاجتماعية والثقافيّة والسياسيّة والقضائيّة والأخلاقيّة والفنيّة مفرداتٍ، وتراكيب، وأساليب. ولم تكن تلك الضوابط المعياريّة التي وضعها العلماء عائقًا أمام تطوّرها وتجدّدها وإبداعاتها، وإسهاماتها، وما كان ذلك إلاّ لأنَّ العربيّة قد واكبت حياة الأمّة مواكبة حثيثة منفتحة على كلّ رافد ثقافيّ من الشعوب الأخرى، وقد كانت في "الكفاية سواء يوم كانت لغة الطبيعة البدويّة الخشنة، ويوم صارت لغة الحياة المنبسطة تصرّفُها الألسنة والأقلام في مناحيَ من العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدّن الإسلامي". (تاريخ آداب العرب، ١٤٣). ولعلّ ذلك مردّه إلى البعد الروحيّ المتمثل بقدسيّة هذه اللّغة لارتباطها بالقرآن الكريم، والبعد الوجوديّ المتمثّل بالكيان والهويّة والوجود، فلعلّ هذين البعدين حملا أهلها على أن يبدعوا في استعمالها، ويتفنّنوا في ربطها بحياتهم وعصرهم بوعيّ وإدراك وإبداع.

٤- اللّغة العربيّة ولغة العصر

إنَّ التحدّيات التي تواجه اللّغة العربيّة اليوم على مختلف الأصعدة والمستويات، وفي شتّى الميادين ليست بدعة من الأمر لم تعرفها هذه اللّغة "المكافحة" في القرون الماضية، وليست جديدة لم تقف أمامها في مرحلة انتقالها من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى بيئة، ومن حكم إلى حكم، ومن ثقافة إلى ثقافة، ولكنّ اللّغة العربيّة استطاعت كما بيّنا أن تُواجه تلك التحدّيات بخصائصها المميّزة، وبعزيمة أهلها وإرادتهم وإيمانهم وجهدهم لتكون سيّدة الكلمة، وصاحبة الخطاب.

وأمّا اليوم فإنَّ العصر الحديث وما فيه من تطوّرات، وإنجازات، واختراعات واكتشافات، وسرعة في التواصل، وإبداع في التّقانة، وتبادل ثقافيّ ذكيّ، وانصهار حضاريّ غير سويّ، وتحوّلات سياسيّة خطيرة، وغزو فكريّ مُدمّر، وهيمنة لغويّة، وتبعيّة عمياء، فإنَّ هذا العصر يفرض على أهل اللّغة العربيّة، وأصحابها، والغيارى عليها أن يواكبوا لغةَ عصر، وأن يجدوا للغتهم مكانًا مرموقًا في ركب التجديد والإبداع اللّغويّ على المستوى المعجميّ، والصرفيّ، والنحويّ بما يتناسب مع الخطاب اللّغويّ العالميّ، وأنظمة التراكيب اللّغويّة الحديثة، وهذا ليس مستحيلاً أو صعبًا على لغة استطاعت أن تبقى متألّقة طوال قرون من الزمن مستجيبة لمتطلّبات العصر.

وإنَّ هذه النهضة اللّغويّة التي تحتاج إليها اللّغة العربيّة ضروريّة لسببين:

أمّا السبب الأوّل فإنَّ اللّغة العربيّة ليست لغة تواصل فحسب بل هي لغة فكر وعقيدة وثقافة راقية، تحمل حروفها قوّة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

في التعبير لا تقدر عليها أيّة لغة أخرى، وتؤدي كلماتها رسائل تعجز عنها أيّة لغة أخرى، وتصنع تراكيبها في العقول والنفوس ما لا تصنعه أيّة لغة أخرى، كيف لا وهي لغة مُقدّسة صاحبة الجلالة نزل بها الذكرُ الحكيم قرآناً عربيّاً غير ذي عِوج. ولا شكَّ أنَّ الصراع الفكريّ والقوّة الثقافيّة اليوم تحتاج إلى أن يكون للعربيّة الصوت القويّ، والكلمة الثاقبة.

وأمّا السّبب الثاني فإنَّ نهضة اللّغة من نهضة أهلها، وإذا كانت اللّغة صورة أهلها فإنَّ كلّ ما يصيب أصحاب اللغة يتّصل أثره باللّغة نفسها.

ولا شكَّ أنَّ النواحي التي من شأن اللّغة العربيّة أن تواكب فيها العصر ولغته كثيرة ومشتعّبة على مختلف مستويات الاستعمال اللّغويّ، والذي نريد أن نسلّط الضوء عليه في هذا البحث على مستوى التراكيب اللّغويّة هو مواكبة ظاهرة الاختصار أو ما يُعرف باللّغة الإنكليزية بمصطلح (Acronym)، وذلك في مجالات الإعلان، والتجارة والتّعليم والتواصل الإلكترونيّ وغير ذلك ممّا يدخل في باب الاستعمال اللّغويّ الوظيفيّ، والذي يُعدُّ نوعًا من النموّ والإبداع اللّغويّ. فهل تقف الضوابط المعياريّة عائقًا دون ذلك؟

٥- الاختصار والنّحت

يُعدُّ الاختصار في التراكيب اللّغويّة من الظواهر اللّغويّة المعاصرة الشائعة في اللّغات الإنسانيّة، يُعرف بـ"Acronym"، باللّغة الإنكليزيّة و"Acronyme" باللّغة الفرنسيّة. وهو كلمة مركّبة من أوائل حروف مجموعة كلمات، أو تركيب ما(٢)، وهو دليل اجتهاد لغويّ ذكيّ، ومن أمثلته:

١ – VIP: Very Important Person.
٢ – HR: Human Recourses.
٣ – PR: Public Relations.
٤ – D: -٣ Dimensional.
٥ – NASA: National Aeronautics and Space Agency.

ويشيع استعمال مثل هذه الاختصارات في تسمية المؤسسات والمنظّمات، وأسماء الشركات، والبرامج الإلكترونيّة، وغيرها في مجالات مُختلفة، حتّى باتت هذه الاختصارات كأسماء العلم.

ولا شكَّ أنَّ هذه الظاهرة المعاصرة الشائعة ليست بدعًا من الاستعمال اللّغويّ، فقد سبقت العربيّةُ إلى مثل هذه الاختصارات على مستوى التراكيب، فعرفت "النّحت" أحد خصائصها الصرفيّة، فالعرب "تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك (رجل عبشميّ) منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل:

أقول لها ودمع العين جارٍ
ألم تحزنك حَيعلةُ المنادي

فكان قوله (حيّ على)" (الصاحبي، ٢٦٣، ٢٦٤).

وقد اشتملت العربيّة على كثير من التراكيب المشهورة المسكوكة لغويًّا يستعملها العربيّ في ظروف معيّنة "فكأنّها بمثابة الأمثال والحكم مثل: "لا حول ولا قوّة إلاّ بالله" و "بسم الله الرحمن الرحيم"... ولكثرة دوران تلك العبارات في كلام العرب مالوا إلى اختزالها والاكتفاء بأقلّ قدر من الإشارة إليها في صورة واحدة فعلاً أو مصدرًا يشيع استعماله على هذه الصورة الجديدة". (من أسرار اللّغة، ٧٢). لذا قالوا في لا حول ولا قوّة إلاّ بالله "حوقل" أو "حولق"، وفي بسم الله الرحمن الرحيم "بسمل". وقد اعتنى به العلماء عناية خاصّة، وكان لهم آراء متباينة فيه، وعقدوا له أبوابًا في مصنّفاتهم بالرغم من أنَّ العرب لم تعرفه كثيرًا كما يقول الدكتور صبحي الصالح، "ولم يغلوا فيه غلُوَّهم في أنواع الاشتقاق الثلاثة الشائعة".(٣) (دراسات في فقه اللّغة، ٢٤٣).

من هنا يتبيّن لنا أنَّ العربيّة سبقت غيرها من اللّغات في هذه الظاهرة اللّغويّة التي تُعدُّ نوعًا من الاختصار والتسّهيل والتّيسير. وليس يعنينا في هذا البحث أن نعرض لأقوال النحاة القدامى والمدثين في هذه الظاهرة اللّغويّة، ولا يُهمّنا أن نثير الجدال حولها أقياسيّة أم سماعيّة، ولا أن نُعيد ما ورد من تعليقات الباحثين حولها، أو أن نسرد قرارات المجامع اللّغويّة في شأنها، بل نريد أن ننظر إلى هذه الظاهرة الفذّة نظرة جديدة بعيدة عن المعايير الضيّقة التي وضعها العلماء القُدامى باستقراء الكلمات العربيّة المنحوتة في بيئة عربيّة مُحدّدة لها خصائصها الثقافيّ. وقد حصر المحدثون الوجوه التي جاء النحت فيها بأربعة وجوه أساسيّة:(٤)

١- نحت كلمة من جملة للدلالة على التحدّث بها، ويُعرف هذا بالنحت الفعليّ، نحو: بسمل، وحمدل. وهذا النحت ورد في كلمات قليلة معظمها مستحدث في الإسلام.

٢- نحت عَلَم مؤلّف من مركّب إضافيّ (مضاف ومضاف إليه) للنّسب إلى العَلَم، ويعرف هذا بالنحت النسبيّ:

نحو: عبشميّ من عبد الشمس، عبدريّ من عبد الدار.

٣- نحت وَصفٍ من كلمتين أو ثلاث كلمات للدلالة على صفة بمعنى المنحوت منه، ويُعرف بالنحت الوصفيّ، نحو: الصّقعَب للطويل من الرجال: من الصقب بمعنى الطويل، ومن الصعب من الصعوبة.

٤- نحت اسم من كلمتين يَجمع بين معنيهما يعرف بالنحت الاسميّ نحو: جلمود من جلد وجمد.

ولا شكَّ في أنَّ هذه القواعد والوجوه ترتبط ارتباطًا وثيقًا باجتهاد النحاة واللغويين في تحليل الأمثلة والشواهد التي استنبطوها منها، وهي شواهد وأمثلة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحياة المتكلّمين بها، وبثقافتهم وأغراضهم في زمن مُحدّد.

وقد استفاد المُحدَثون من هذه المعايير باستخدام النحت "وسيلة من وسائل استيعاب المصطلحات الجديدة، فأحسنوا الاستخدام، وبدأت تشيع في لغتنا مصطلحات من نحو: برمائيّ، وأنغميّ، ودرعميّ، وزمكانيّ، وقبتاريخ، ومدرحي وسواها". (فقه اللّغة مناهله ومسائله، ٢٩٦).

ولكنّنا رغم تلك الجهود التي بذلها المُحدَثون مازلنا نرى أنّنا في حاجة إلى أن نتوسّع في ظاهرة النحت هذه التي تُعدُّ نوعًا من أنواع النمو اللّغويّ، وألاّ نبقيها في حدودها المعياريّة التي أقرّها القُدامى، حتّى لا نخسر ظاهرة لغويّة فذّة حيّة مُبدعة قادرة أن تجعل اللّغة العربيّة مُنافسة في عالم تشيع فيه ظواهر الاختصار، ورموز التعبير.

٦- النّحت الدلاليّ:

إنَّ ثقافة هذا العصر بما تحمل من انفتاح حضاريّ، وتلاقح فكريّ، وتقليد لكلّ غربيّ مهمين حملت كثيرًا من أبناء اللّغة العربيّة إلى مجاراة لغة العصر منبهرين أمام ما يُقدّمه الغرب من وسائل ذكيّة في التعبير عن المعاني والأفكار، وكانت ظاهرة الاختصار (acronym) التي أشرنا إليها واحدة من الظواهر اللّغوية التي مال إليها أبناء العربيّة مقلّدين الأجانب في استعمال الاختصارات، ليُعبّروا عن أسماء شركاتهم، ومؤسساتهم،(٥) أو عن القيم التي يتبنوننا في مؤسساتهم العربية(٦) أو نصائحهم التوجيهيّة والقياديّة والتربويّة(٧)، وغيرها من المجالات ظنًّا أنَّ العربيّة غير قادرة على أن تُبدع هذا الإبداع اللّغويّ الذي كان لها قصب السبق فيه يوم كان أبناؤها مبدعين، مبتكرين، يَحْيَون بثقافتهم وفكرهم ومبادئهم وتطلّعاتهم.

وإن كانت هذه الاختصارات التي يستعملها أبناء العربيّة تُحقّق بالنسبة إليهم شعورًا من الانفتاح الثقافيّ، وتُعبّر عن المعاني الظاهرة التي من شأن اللّغة أن تُعبّر عنها، فهي – أي هذه الاختصار – غير قادرة أن تُعبّر عن هُويّة عربيّة وثقافية عربيّة، وبُعد روحيّ عربيّ؛ لأنّها تتوجه إلى العربيّ في مجالات الإعلان، والتربية، والتجارة، ونحو ذلك بلغة أجنبيّة تبقى قاصرة عن التأثير في الفكر والوجدان؛ لأنَّ اللّغة دليل رمزيّ على الثقافة.

وفي مقابل ذلك نجد استعمالات لغويّة عربيّة معاصرة رائدة ومبتكرة استطاعت أن تستفيد من ظاهرة النحت، وتوظّفها في إطار حداثيّ يواكب متطلّبات خطاب العصر من جهة، ويبرز الهويّة العربيّة الثقافيّة الفكريّة من جهة أخرى؛ ليؤكّد على أنَّ اللّغة دليل رمزيّ على الثقافة تعكس الفكر والثقافة وتوجههما. ومن الأمثلة على ذلك:

١- تمام: التطوير المُستنِد إلى المدرسة

"مشروع تربويّ تعاونيّ بين مؤسسة الفكر العربيّ والجامعة الأميركيّة في بيروت يعتمد على التطوير المُستنِد إلى المدرسة في العالم العربيّ، واشتقّ اسم "تمام" من غايته، وهو يتضمّن الأحرف الأوليّة من (التطوّر المستند إلى المدرسة)".

(https:/tamamproject.org/ar/).

٢- شمعة: شبكة المعلومات العربية التربويّة

"تتيح شبكة المعلومات العربيّة التربويّة للاختصاصيين والمهتمّين بالتربيّة الوصول الحرّ عبر الانترنت للدراسات التربويّة المنتجة في البلدان العربيّة". (www.shamaa.org)

والواضّح أنّ "شمعة" هي الأحرف الأُوَل من (شبكة المعلومات العربيّة التربويّة).

٣- إرادة: اتّحاد رجال الأعمال للدعم والتطوير

"بناء تجمّع اقتصاديّ واجتماعيّ رائد يهدف إلى خدمة مجتمعنا وتعزيز هُوّيته". (www.irada.org.lb).

والواضح أيضًا أنّ "إرادة" هي الأحرف الأُوَل من (اتّحاد رجال الأعمال

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

للدعم والتطوير)

٤- فاستقم: انفتاح واحترام ومسؤوليّة وانتماء واستقامة ومحبّة

"القيم الأخلاقيّة الأساسيّة للمدرسة اللبنانيّة العالميّة، تسعى المدرسة إلى بناء الشخصيّة الخلقيّة الصالحة عند المتعلّمين وتنميتها عبر تمكينهم من القيم الأخلاقيّة الأساسيّة (الانفتاح، والاحترام، والمسؤوليّة، والانتماء، والاستقامة والمحبة) بهدف إخراج جيل متوازن متميّز إيجابيّ صالح" (دليل المتعلّم في المدرسة اللبنانية العالميّ، ٥، ٧)

ويبدو أنّ "فاستقم" هي أحرف مأخوذة من الأحرف الأكثر بروزًا على المستوى الصوتيّ في قيم المدرسة الأخلاقيّة السّت.

ف: انفتاح، ا: احترام، س: مسؤوليّة
ت: انتماء، ق: استقامة، م: محبّة

يتبيّن لنا بالنظر إلى هذه الكلمات الأربع ("تمام"، و"شمعة"، و"إرادة"، و"فاستقم") بالوصف والتحليل ما يلي:

١- كلّ كلمة مأخوذة من أحرف كلمات أُخَر، كانت هذه الأحرف في "تمام" و"شمعة" و"إرادة" الأحرف الأُوَل من كلمات مركّبات مُختلفة، وفي كلمة "فاستقم" من أحرف المقاطع الأكثر نبرًا في الكلمات.

٢- تختلف الكلمات من حيث بنيتها الصرفيّة: فكلمة "تمام" مصدر سماعيّ، وكلمة "إرادة" مصدر قياسيّ، وكلمة "شمعة" اسم ذات، وكلمة "فاستقم" مركبّة من حرف معنى (الفاء)، وفعل الأمر "استقم".

٣- تدلُّ كلّ كلمة على معنى لغويّ معجميّ له أساس في العربيّة، وليست مُجرّد سبك لأحرف كلمات التراكيب التي ترمز إليها كما هي الحال في بعض الاختصارات العربيّة التي احتذت حذو الاختصارات الرمزيّة في اللّغات الأجنبيّة مثل: اختصارات أسماء وكالات الأنباء في كثير من البلاد العربيّة(٨):

- وام: وكالة الأنباء الإماراتيّة
- واس: وكالة الأنباء السعوديّة
- ماب: وكالة المغرب العربيّ للأنباء
- واج: وكالة الأنباء الجزائريّة

٤- يحمل كلّ معنى لغويّ من معاني الكلمات دلالات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمضمون التركيب الذي أخذت منه، فكلمة "تمام" تدلّ على المستوى الذي يُتوقّع أن تصل إليه أيّة مؤسسة تربويّة تنخرط في هذا المشروع التربويّ الذي له منهاجه وركائزه وأدواته، ومن ناحية أخرى فإنّ وجود مشروع تربويّ عربيّ يعتمد على التطوير المُستنِد إلى المدرسة وفق منهاج علميّ وتخطيط تربويّ يُشير إلى "تمام" أركان هذا المشروع الذي من شأنه أن يُسهم في النهضة التربويّة. وبمقابلة(٩) شخصيّة أجريتها مع مديرة هذا المشروع الدكتورة ريما كرامي الأستاذة في كليّة التربية في الجامعة الأميركيّة في بيروت أخبرتني أنّ كلمة "تمام" أصبحت من الكلمات التي تحمل دلالات جديدة في عالم التربية والتعليم في مجتمع المؤسسات التربويّة المنضمّة إلى هذا المشروع في العالم العربيّ، فأصبحت تُستعمل في هذه المؤسسات للدلالة على "إتقان العمل"، و"التطوّر الناجح"، و"الموافقة على القرارات التربويّة"، حتّى إنّ أحد مديري المدارس المنتسبة إلى هذا المشروع تصرّف في البيت الشعريّ المشهور تعبيرًا عن البُعد الدلاليّ الذي اتخذته الكلمة فقال:

إذا قالت "تمام" فصدّقوها
فإنّ القول ما قالت "تمام"

وكلمة "فاستقم" تدلُّ على عمق التوجيه التربويّ الذي تحمله في سبيل بناء القيم التي تُعبّر عنها في شخصيّة المتعلّم في المدرسة، فإنّ كلاً من الانفتاح والاحترام والمسؤوليّة والانتماء والاستقامة والمحبّة يحتاج إلى خطاب إيعازيّ يدعو إلى الاستقامة على هذه القيم من أجل أن تصبح قيمة خلقيّة راسخة توجّه المتعلّم في الحياة.

وكذلك الدلالة التي تُعبّر عنها كلمة "شمعة" وكلمة "إرادة" في الإطار الثقافيّ والفكريّ لكلٍّ من أهداف شبكة المعلومات العربيّة التربويّة، أو اتّحاد رجال الأعمال للدعم والتطوير.

فإن كانت هذه الكلمات وغيرها ليس مجرّد سبك لأحرف كلمات التراكيب التي ترمز إليها بل إنّ لها معنى لغويّ معجميّ، فإنّ براعة هذه الكلمات في التعبير عن مضمون تلك التراكيب يكمن في قدرتها الدلاليّة في التعبير عن مضمون ما له مفهومه الثقافيّ والمعرفيّ والفكريّ في أذهان أبناء هذه اللّغة الخلاّقة.

من هنا نجد أنّنا أمام ظاهرة لغويّة معاصرة:

١- ينطبق عليها قاعدة "النحت" العامّة، وهي انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر،

وإن كانت لا تخضع للمعايير التي وضعها القُدامى لهذه الظاهرة الاشتقاقيّة؛ وذلك أنَّ معاييرهم تلك كانت معتمدة اعتمادًا وصفيًا على ما استقروه من كلام العرب في شأن الكلمات المنحوتة؛ وكون اللّغة العربيّة لغة اشتقاقيّة خلاّقة استطاعت أن تستفيد من خصائصها الصرفيّة وأن تمنح أبناءها "المخلصين لها" في هذا العصر، عصر الاختصارات اللّغويّة، نمطًا لغويًّا عربيًّا يُجاري العصر، ويحتفظ بالبُعد الثقافيّ العربيّ الذي تُعبّر عنه هذه اللّغة.

٢- تشير إلى مفهوم التوسّع الدلاليّ لكلمة ما، حيث اكتسب كلّ من الكلمات التي مثّلنا بها معنًى جديدًا فضلاً عن معناها المعجميّ، هذا المعنى الجديد كان نتيجة التسمية الإدراكيّة التي أطلقها أولئك المبدعون على المشروع التطويري "تمام"، وقيم المدرسة الخلقيّة "فاستقم"، وشبكة المعلومات العربيّة التربويّة "شمعة"، واتّحاد رجال الأعمال للدعم والتطوير "إرادة"، والتسمية الإدراكيّة تكون "حين يُعطى الشيء اسمًا ينتمي هو الآخر إلى اسم آخر يرتبط في ذهننا بالاسم الأوّل". (علم الدلالة، ٧٦)

وبهذا الاسم الجديد تُصبح الكلمة تدلّ على معنى جديد في سياق ثقافيّ مُعيّن، يمكن أن نعدّه نوعًا من تعدّد المعاني، والذي من شأنه أن يُغني اللّغة ويُسهم في نموّها وتطوّرها، ولا سيّما "أنّ استعمال الكلمات التي تدلّ على معانٍ متعدّدة يُعبّر عن اقتصاد لغويّ يسعى إليه أبناء اللّغة". (مبادئ اللسانيّات، ٣١٤).

بناء على ذلك نقترح أن نُسمّي هذه الظاهرة اللّغوية "النحت الدلاليّ"، ونعرّفها بأنّها اشتقاق كلمة من كلمات متعدّدة تكون اختصارًا لهذه الكلمات وتحمل بُعدًا دلاليًّا لها.

أمّا طريقة النحت هذه فتكون لها صور مُتعدّدة، فإمّا أن تكون الكلمة المنحوتة منتزعة من:

١- الأحرف الأُوَل لكلمات مثل: "إرادة"، فهي منحوتة من أوائل كلمات، اتّحاد رجال الأعمال للدعم والتطوير، بإسقاط "ال" التعريف.

٢- أحرف المقاطع المبنورة في الكلمات، لم نعثر على كلمة بهذه الصورة، ولكن نقترح أن تكون إحدى قواعد "النحت الدلاليّ".

٣- الأحرف التي لها بروز صوتيّ في الكلمات. مثل: "فاستقم"، فهي منحوتة من الانفتاح، فصوت الفاء في الكلمة له بروز في السَّمع، وكذلك صوت الحاء، ولكنّ أصحاب هذه الكلمة آثروا اختيار صوت الفاء، وكذلك صوت "السّين" أُخذ من كلمة المسؤوليّة، وله بروز في السَّمع، وكذلك.

٤- الأحرف الأخيرة للكلمات، لم نعثر على كلمة بهذه الصورة، ولكن نقترح أن تكون إحدى قواعد "النحت الدلاليّ".

ونبقي الباب مفتوحًا للباحثين والمجتهدين في اقتراح صور أُخَر لهذا النوع من النحت.

وأمّا صيغ النحت الدلاليّ فهي واحدة من الصيغ الآتية:

١- الفعل: مثل "فاستقم"
٢- المصدر: مثل "تمام" و "إرادة"
٣- الاسم المشتق: مثل "قاوم"
٤- اسم ذات: مثل "شمعة"
٥- اسم معنى: مثل "حُريّة"
٦- جمع التكسير: "عُيون"
٧- المركّبات: مثل "مؤمن حقًّا"

كما نقترح ألاّ تكون الكلمة المنحوتة مُعرّفة بلام التعريف.

خلاصة البحث:

خلص هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١- أكّد البحث على أنَّ اللّغة العربيّة لغة مُتجدّدة ومتطوّرة، وأنّ الضوابط المعياريّة التي وضعها القُدامى لتوجيه الاستعمال اللّغوي لم تكن يومًا عائقًا أمام تطوّرها وتجدّدها وإبداعاتها وإسهاماتها، ومواكبتها حياة الأمّة مواكبة حثيثة منفتحة على كلّ رافد ثقافيّ من الشعوب الأخرى.

٢- إنَّ اللّغة العربيّة تحتاج إلى نهضة لغويّة على المستوى المعجميّ، والصرفيّ، والنحويّ بما يتوافق مع الخطاب اللّغويّ العالميّ، وأنظمة التراكيب اللّغويّة الحديثة، وهي نهضة ضروريّة لسببين أمّا الأوّل فيرتبط بقدرة اللّغة العربيّة لما لها من خصائص على إثبات وجودها في مسرح الصراع الفكريّ والقوة الثقافيّة العالميّة، وأمّا الثاني فيرتبط بنهضة أهلها؛ لأنَّ نهضة اللّغة من نهضة أهلها.

٣- إنَّ النظر إلى الضوابط المعياريّة التي وضعها القُدامى باستقراء كلام العرب في بيئة مُحدّدة نظرة تقديس وسُلطة لا يجوز الكفر بها أو الخروج عليها يُعدُّ عائقًا أمام تجدّد اللّغة وتطوّرها وإبداعها.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٤- إنَّ ما يُعرف اليوم في اللّغات الأجنبيّة بظاهرة الاختصار، "Acronym" ليس بدعًا من الاستعمال اللّغويّ، فقد عرفته اللّغة العربيّة بظاهرة "النحت" ويُعدُّ واحدًا من خصائص هذه اللّغة.

٥- إنَّ التوسّع في "ظاهرة النحت" في هذا العصر، وعدم ضبطها بالمعايير التي أقرّها القُدامى يُعدُّ نوعًا من أنواع النمو اللّغويّ الذي ينبغي ألاّ تقف الضوابط المعياريّة دونه حتّى لا نخسر ظاهرة لغويّة فذّة حيّة قادرة أن تجعل اللّغة العربيّة منافسة في عالم تشيع فيه ظواهر الاختصار، ورموز التعبير.

٦- هناك استعمالات لغويّة معاصرة رائدة استفادت من ظاهرة النحت، ووظّفتها في إطار حداثيّ يُواكب متطلّبات خطاب العصر من جهة، ويُبرز الهويّة العربيّة الثقافية الفكريّة من جهة أخرى، نقترح أن تُسمّى هذه الظاهرة اللّغويّة "النحت الدلالي".

٧- النحت الدلاليّ ظاهرة لغويّة معاصرة عرّفها الباحث بأنّها اشتقاق كلمة من كلمات متعدّدة تكون اختصارًا لهذه الكلمات، وتحمل بُعدًا دلاليًّا لها.

٨- اقترح الباحث صورًا مُتعدّدة لطريقة النحت الدلاليّ وصيغًا لغويّة تُعبّر عنه.

الهوامش:

١- اللّغويّون الأقدمون لم يعرضوا للهجات العربيّة القديمة في العصور المختلفة عرضًا مفصّلاً؛ لأنّهم شغلوا عن ذلك باللّغة الأدبيّة الفصحى التي نزل بها القرآن، وصيغت بها الآثار الأدبيّة في الجاهليّة وصدر الإسلام (دراسات في فقه اللّغة،٦٠).

٢ – Acronym: An abbreviation consisting of the first letters of each word in the name of something, pronounced as a word. (https://dictionary.cambridge.org/dictionary/English/acronym)

٣- الاشتقاق أربعة أنواع: الأصغر والكبير والأكبر والكبّار (النحت).

٤- يُراجع هذا في كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (ص ١٤٤)، وكتاب فقه اللّغة مناهله ومسائله للدكتور محمد أسعد النادري (ص٢٧٩).

٥- BAU: Beirut Arab University / جامعة بيروت العربية

LIS: Lebanese International School / المدرسة اللبنانية العالمية

٦- CORRCIT: Caring, Open minded, Respect, Responsibility, Citizenship, Trustworthiness, Taqwa.

٧- TEAM: Teach, Enforce, Advocate, Model.

٨- ونشير إلى أنَّ بعض اختصارات أسماء وكالات الأنباء العربيّة لها معانٍ لغويّة معجميّة مثل: (وفا): وكالة الأنباء الفلسطينيّة، (قنا): وكالة الأنباء القطريّة، (واع): وكالة الأنباء العراقية.

أُخذت هذه الأسماء من الموقع الالكتروني (اتحاد-وكالات-الأنباء-العربيّةwik/https://ar.wikipedia.org/)

٩- أُجريت على هامش الملتقي الخامس لمشروع التطوير المستند إلى المنعقد في مسقط عُمان، أيّار ٢٠١٤.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المراجع

١- أبو الفتح، عثمان بن جنّي. (٢٠٠١)، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.
٢- أنيس، إبراهيم. (١٩٩٩)، الأصوات اللّغويّة مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر.
٣- أنيس، إبراهيم. (٢٠١٠)، من أسرار اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر.
٤- الرافعي، مصطفى صادق.(٢٠٠٩)، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصريّة،صيدا.
٥- السيوطي. (١٩٩٨)، الاقتراح في علم أصول النحو، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.
٦- قدّور، أحمد. (١٩٩٩)؛ مبادئ اللسانيّات، دار الفكر المعاصر، دمشق.
٧- غيرو، بيار.(١٩٨٦)، علم الدلالة ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى.
٨- المدرسة اللبنانية العالمية، دليل المتعلّم ٢٠١٨ – ٢٠١٩.
٩- المسدّي، عبد السلام.(٢٠١٠)، العربيّة والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، الطبعة الأولى.
١٠- المسدّي،عبد السلام.(٢٠١٠)، مباحث تأسيسيّة في اللسانيّات، دار الكتاب الجديد المتحدّة، بيروت، الطبعة الأولى.
١١- النادري، محمد أسعد.(٢٠٠٥) فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصريّة، بيروت، الطبعة الأولى.
١٢- وافي، علي عبد الواحد. (٢٠١٧)، علم اللّغة، دار النهضة مصر، مصر، الطبعة السابعة عشرة.
١٣- وافي، علي عبد الواحد.(٢٠١٥)، فقه اللّغة، دار النهضة مصر، الطبعة الثامنة.
١٤- الوعر، مازن.(١٩٨٨)، قضايا أساسيّة في علم اللسانيّات، دار طلاّس، دمشق، الطبعة الأولى.

المراجع الإلكترونية

١ – https://ar.wikipedia.org/wik/اتحاد-وكالات-الأنباء-العربية
٢ – https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/acronym
٣ – https://tamamproject.org/ar/
٤ – www.shamaa.org
٥ – www.irada.org.lb

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2